بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للـهِ ربِّ العـالمين، إله الخَلْـقِ أجمعين، ربِّ العـرش الكريم، الملك الحق المبين، الذي أرسلَ رُسله الكرام للـدعوة إلى صـراطه المسـتقيم، والـدين القـويم دين الإسـلام العظيم الـذي لا يقبل الله من أحد سـواه يـوم الـدين قـال تعـالى:﴿إنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ﴾، وقال تعـالى:﴿ومَنْ يَبْتَـغِ غـيرَ الإسـلامِ دينـاً فلن يُقْبَـلَ منه وهو في الآخـرةِ من الخاسـرين﴾، وقـال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا ليطاعَ بإذنِ اللهِ﴾.

والصـلاة والسـلام على المبعـوث رحمة للعـالمين، ونـذيراً للنـاس أجمعين، وبشـيراً لعبـاد الله المؤمـنين القائـل: " من أطاعَني دخلَ الجنةَ، ومن عصاني فقد أبَى " [1].

والسلام والرِّضوان على أصـحابه الغُـرِّ الميـامين، الـذين لَبَّوْا نداءَه، وأطاعوا أمره، واستجابوا لله ورسـوله؛ فأقـاموا الـدين، وقـاتلوا الكُفْـرَ والكـافرين، وكـانوا كما وصـفهم اللـه: ﴿محمـدٌ رسولُ اللهِ والذين معَهُ أشِدَّاءُ على الكفارِ رُحمـاءُ بينَهم تَـرَاهُم رُكَّعـاً سُـجَّداً يَبتغـون فضـلاً من اللـهِ ورِضـواناً سـيماهُم في وُجـوهِهِم من أثـرِ السُّـجودِ ذلك مَثَلُهُم في التـوراةِ ومَثَلُهُم في الإنجيـلِ كـزرعٍ أخـرجَ شَـطْأَهُ فـآزَرَهُ فاسْـتَغْلَظَ فاسـتوى على سُوقِهِ يُعجِبُ الزُّرَّاعَ ليغيظَ بِهِمُ الكفارَ وعد اللـهُ الـذينَ ءامنـوا وعملوا الصالحاتِ منهُم مَغفرةً وأجراً عظيماً﴾ [2].

ومن بعـده﴾ قـاتلوا المرتـدين مـانعي الزكـاة المفـرقين بين الصـلاة والزكـاة، والـزاعمين أنهم يشـهدون أن لا إله إلا اللـه، فقـاتلوهم قتـال الكـافرين، واسـتحلوا منهم الـدماء والأمـوال والأولاد، وأجمعوا كلهم على كفر تارك الصـلاة؛ فحفظـوا بـذلك حقيقة الدين فاستحقوا موعود الله بالنصر والإعـزاز والتمكين: ﴿وعدَ اللهُ الذينَ ءامنـوا منكم وعملـوا الصـالحاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كما اسـتخلفَ الـذين من قبلِهم ولَيُمَكِّنَنَّ لهم دينَهُمُ

[1] (1) رواه البخاري.
[2] (2) سورة الفتح: 29.

الذي ارتَضَى لهم ولَيُبَـدِّلَنَّهُم من بعـدِ خـوفِهِم أمْنـاً يَعْبُـدونَني لا يُشرِكون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾[3] .

أما بعدُ:

فإنه قد نشأ في المســلمين في أواخر عهد الصــحابة، ولم يكن أحد منهم صــحابياً. من زعم أن الإيمــان الــذي ينجو به صاحبه من الخلود في النار هو شـهادةُ أن لا إله إلا اللـه: قولُها باللسان، والإقـرارُ بها في القلب فقـط، وإنه إذا لم يعمل عملاً قط من الأعمـال الصـالحة اختيـاراً لا اضـطراراً: لا صـلاة، ولا زكاة، ولا حجاً، ولا عُمْرَة، ولا بَرَّ والديـه، ولا وَصَـلَ أرحامَـه، ولا اغتسل من جنابــة، أو تَطَهَّرَ من نجاســة، ولم يَـأْتَمِرْ بـأمر من أوامر الله قط، فـإن كل ذلك لا ينقض أصل إيمانــه، ولا يُخْرِجُه من ملة الإسلام.

وكــــذلك لو فعل كل المُكَفِّرات، وارتكب جميع الموبِقـــات، فسجد لغير الله، ودعا غيرَ الله، وأحلَّ ما حـرَّمَ اللـه، وحـرَّم ما أحلَّ الله، وحكم في كل أَمْرِه، وأمر غيره بحكمِ غـيرِ اللـهِ، بل ولو سبَّ اللهَ، وسبَّ رسولَه، وسـبَّ دينَـه، ولكن فعل ذلك كله في ظـاهر الأمـر، ولم يكن يعتقد هـذا بقلبه فإنه -في زعمهم- يبقى على الإيمان، ولا يخرج منه إلى الكفران !!

وزعموا أن هذا الذي لم يسـجد لله سـجدة، ولم يـأتمر بـأمر واحد من أوامره، وفعل كل هـذه المكفـرات، زعمـوا أن رحمة الله في الآخرة تنالُه، وأنه من أهل شـفاعة الـرحمن، وأنه وإن عُــذِّبَ يومــاً في النــار إلا أنه تُدْرِكُه الشــفاعة ما دام أنه كــان يشهد أن لا إله إلا الله بقلبه ولسانه.

وأقـول: لما ظهر هـذا المـذهب الخطـير، والمقالة الكـافرة الفـاجرة في أهل الإسـلام؛ قـام التـابعون وتـابعوهم بإحسـان وأئمة الإسـلام وأهل الحـديث والسـنة والجماعة فصـاحوا بأهل هـذه المقالة في كل مكـان؛ فكفـروهم، وحـذروا من مـذهبهم الخبيث الذي يهدم الدين من أساسه، ويُفرغُ الإسلام من اسمه وموضوعه وغايته. وسَمَّوْا أهل هذه المقالة باسم بِـدْعَتِهِم وهي بدعة الإِرْجاء.

---

[3](1) سورة النور: 55

وعــرف أهل الســنة الإيمــان بأنه حقيقة مركبة من قــول اللسان، وتصـديق الجنـان، وعمل الجـوارح، وأن واحـداً منها لا ينفك عن الآخـــر. وردوا مقالة أهل الإرجــاء بكلام الله وكلام رسوله، وإجمـاع الصـحابة؛ وبما اسـتقر في بداهة العقـول من اسـتحالة الجمع بين النقيضـين: إذ كيف يجتمع الكفر والإيمـان في قلب واحـد. وكيف يكـون مع الإعـراضِ والعنـاد والعصـيان والإصرار الإيمان والإسلام والإذعان ؟؟

وهذه البدعة القديمة جاء اليوم من يجددها، ويخرجها للنــاس بحلة جديــدة، ولبــاس جديــد، وليته أخرجها بمســماها القــديم (الإرجـاء)، بل انتحل لها مسـمى اعتقـاد أهل السـنة، وعقيـدة سلف الأمة !!

لما رأيت ذلك كان من واجبي بيان هذا الأمر الخطير، وتحذير الأمة من هــذا المعتقد الضــال، الــذي يــؤدي في النهاية إلى تكذيب الله، وتكذيب رسوله، والخروج عن إجماع الأمة، وهـدم أركان الدين والملة، والتعلق مع ذلك بأماني الرحمة والمغفـرة غروراً وتغريراً.

والله المســتعان، وعليه وحــده التكلان، والحمد لله على توفيقه في البدء والختام، وسميت هـذه الرسـالة: (**البرهـانُ على أنَّ تاركَ العملِ - اختياراً - فاقِـدٌ لأصل الإيمـانِ، وأنَّ الكفرَ كما يكونُ بالقلبِ، يكونُ بالعمـلِ واللسـانِ**).

وكتبه

عبدالرحمن بن عبدالخالق

[illegible] : [illegible] 1421[illegible]

[illegible] 14 [illegible]

[illegible] 2000[illegible]

التعريفُ بالبدعة المُسمَّاةِ بدعةَ الإِرجاء:

قبل الدخول إلى ما نحن بِصَدَدِهِ من البرهان أنَّ تـارك العمل اختياراً فاقدٌ للإيمان، وأن الكفر كما يكـون بـالقلب فإنه كـذلك يكون بالعمل الظاهر واللسان.

أقول قبل الدخول في موضوع هذه الرسالة أحب أن أُعَـرِّفَ بدعةَ الإرجاء ليكون القارئ والمستمع -إن شاء اللـه- على علم بأبعاد هـذه البدعة الخطـيرة، وآثارها المـدمرة، ومن ثَمَّ يعـرف كيفية الرد عليها، فأقول: بحمدِ الله:

الدِّينُ الذي بُعِثَتْ بهِ الرُّسُلُ:

الدين الذي بعثت به الرسل هو الإسلام للـه، وهو يَتَلَخَّصُ في كلمتين: سمع وطاعة، قـال تعـالى مُعَرَّفـاً لـه: ﴿وقـالوا سَـمِعْنا وأَطَعْنا﴾ فالسمعُ هو الإيمانُ بكلامِ اللهِ، وتصديقهُ، والطاعةُ هي الإذعانُ لأمرِ اللهِ، والقيامُ به.

وهـذا بمجموعه هو الإيمـان كما شـهد به الله لنبيه وصـحابة نبيه، فقال﴿ :﴿آمنَ الرسولُ بما أُنـزِلَ إليـهِ من ربِّهِ والمؤمنـونَ كـلٌّ آمنَ باللـهِ وملائِكَتِـهِ وكُتُبِـهِ ورُسُـلِهِ لا نُفَـرِّقُ بينَ أحـدٍ من رُسُلِهِ وقالوا سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفرانَكَ ربَّنا وإليكَ المصيرُ﴾ [4].

هــذا هو الإيمــان، وهو أيضــاً الإســلام، لأن الإســلام هو الاستسـلام لله بالإيمـان به وطاعتـه، وهو دينُ الرسـلِ جميعـاً الذي لا يَقبلُ اللهُ من أحدٍ سِواهُ.

وأما من أتى بالسمع وحده، وترك الطاعة فقد كفر كما كـان الشـأنُ من إبليس فقد سـمع وعصـى، واليهـود الـذين قـالوا: ﴿سَــمِعْنا وعَصَــيْنا﴾، ومن أتى بالطاعة فوافق الأمــرَ ولكنه لم يسمعْ كلامَ اللهِ ولم يُصَدِّقْه، فقد كفر أيضاً كالنصارى الضالين.

ومن ردَّ كلام الله، فلم يَسْمَعْه، وترك الأمرَ كذلك فقد كــذَّب وعصى كفرعـون ومن على شـاكلته، قـال الله جل وعلا عنـه: ﴿فكذَّبَ وعصى﴾ كذَّب خبرَ الله بأنه سبحانه ربُّ العـالمين، وأنَّ موسى رسـولٌ من عنـده، وعصى أمـرَ الله فلم يُرْسِـلْ بـني إسرائيل.

---

[4](1) سورة البقرة: 285.

المرجئة من هم ؟

قوم ظهروا بعد عصر الصحابة، ولهم أقوال كثيرة في معـنى الإيمان، ولكنهم يجتمعـون على الفصل بين العمل والإيمـان؛ إذ جعلوا العمل خارجاً عن مسمى الإيمان، وعن حقيقته أو أصـله ...

منهم مَن قال: الإيمان هو الإقـرار بـالقلب فقـط، ومنهم مَن قـال: الإيمـان هو الشـهادة باللسـان فقـط. ومنهم من قـال: الإيمان هو الإقرار بـالقلب واللسـان فقـط. ومنهم من قـال بل الإيمان هو المعرفة بالله فقط.

وأما الأعمال الصالحة كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وبر الوالـدين، وصـدق الحـديث..الخ فعنـدهم أنها فقط تزيد درجة المـؤمن، ولا يـزداد بها العبد إيمانـاً؛ لأن الإيمـان عنـدهم هو التصديق، والعبد إما مُصَدِّق وإما مُكَذِّب، فإن كـان مصـدقاً فلا يزداد بالصلاة والصوم وسـائر الأعمـال تصـديقاً، وإذا لم يعملها كلها فلا تضره ما دام أنه مُصَدِّقٌ.

وأما المعاصي كقتل النفس التي حرم اللـه، والزنـا، وشـرب الخمـر، وسـائر الموبقـات فمنهم مَن قـال: لا تضر المـؤمن (حسب تعـريفهم السـابق) شـيئاً، فلو فعل كل منكـر، وارتكب كل كبيرة مادام يشهد أن لا إله إلا الله فإنها لا تضره. بل يدخل الجنة مع أول الداخلين.

ومنهم من قال: بل تضره، وقد يعذب عليها، ولكنه يصـير بعد ذلك إلى الجنة.

وأما المعاصي الـتي هي كُفر وشِـرك فـإنهم قـالوا إذا فعلها المؤمن (حسب تفسيرهم) ظاهراً فقط ولم يعتقدها فإنه يظل على الإيمان، وإن اعتقدها فقد كفر.

موقف الخوارج والمعتزلة من الإيمان:

والمـذهب المقابل لمـذهب الإرجـاء السـابق هو ما ذهب إليه الخــوارج، فــإنهم جعلــوا عمل الــدين كله شــرطاً في صــحة الإيمان، فمَن نقض شـيئاً من العمل الـواجب فإنه يكفـر، ومن فعل كبيرة من المعاصي كالزنا والسرقة كفر... والكفر عندهم كُفْرٌ مُخَلَّدٌ في النار خلوداً لا انقطاع له.

والفـرق بين الخـوارج والمعتزلة فَـرْقٌ شـكلي في التسـمية فقـط؛ فـإن الخـوارج قـالوا: مَن ارتكب كبـيرة فقد كفـر، وهو مُخَلَّدٌ في النار إن مات عليها. وأما المعتزلة فقالوا: مَن ارتكب كبـيرة فإنه لا يكـون مؤمنـاً ولا كـافراً بل في منزلة بين منزلة الكفر والإيمــان (منزلة بين المنزلــتين)، وإن مــات على ذلك فهو مُخَلَّدٌ في النار خُلودَ الكافرين.

موقف أهل السنة والجماعة من مُسمَّى الإيمان:

وأما أهل السنة والجماعة فـإنهم عَرَّفُـوا الإيمـان بأنـه: قـول باللسـان، وتصـديق بـالقلب، وعمل بـالجوارح. ولا يكـون العبد مؤمنـاً إلا بهـذه الثلاث. وقـالوا: العمل جـزء من الإيمـان، وإذا انتفى العمل كله انتفى الإيمان كله.

وقالوا: العبد يزداد بالطاعة إيمانـاً، وينقص إيمانه بالمعصـية، فليس تصديق الملائكة والنبيين، كتصديق مَن دونهم من صــالح المؤمنين والصِّدِّيقين، ومن دونهم من عوام المؤمنين...وهنــاك الإيمان واليقين، وحقُّ اليقين، وعَيْنُ اليقين.

وقـالوا: المعاصي الـتي هي دون الكفر لا يخـرج بها المـؤمن من الإيمان، ولو كانت كبيرة كالقتل، والزنـا، وشـرب الخمـر... وإن مات صاحبها عليها ولم يتب منها فـأمره فيها إلى اللـه: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه في النار، ولكنه لا يخلد فيها خُلودَ الكافرين.

وأما المعاصي التي حكم الله على فاعلها بالكفر فمنها ما هو كفر أكـبر ينقل عن الملـة، ومنها ما هو كفر أصـغر لا ينقل عن الملة، ولا يخلد صاحبها في النار خلود الكفار.

وقالوا: إن من العمل الصالح الذي فرضه ما يلزم من وجوده وجـود الإيمـان، ومن انتفائه انتفـاء الإيمـان، وهو الصـلاة، (ولم يكن صحابة رسول الله يرون شـيئاً من الأعمـال تَرْكُـهُ كُفر إلا الصلاة).

وقـالوا إن الكفر كما يكـون بـالقلب فهو كـذلك يكـون بكلام اللسان، فمَنْ سبَّ اللهَ، أو رسولَه، أو دين الإسـلام فهو كـافر، وإن اعتقد خلاف ذلـــك، ومن ردَّ كلامَ اللـــه، أو كلام رســـوله بلسانه فهو كافر. وكذلك يكون الكفر بالعمل فمَن أهان القرآن فداسَهُ بِقَدَمِه، أو سجدَ لغير الله دون إِكراه فهو كافر...الخ

موقف أصحاب المذهب المُلَفَّقِ المعاصر للإرجاء:

وقد نشأ اليـــوم مـــذهب مُلَفَّقٌ هو في حقيقته مـــذهب أهل الإرجاء والجهمية قديماً، ولكن أصـحابه يحـاولون إلباسه لبـاس مُعْتَقَدِ أهلِ السنة والجماعة.

وخلاصة هذا المذهب ما يلي:

قولهم أن الإيمـان قـول وعمـل، فيتـوهم المسـتمع والقـاري لكلامهم أنهم يعنـــون عمل الجـــوارح، ولكنهم يقولـــون: العمل المطلوب للإيمان هو عمل القلب من التصديق والإذعـان، وأما أعمـال الجـوارح فهي لا تـدخل في أصل الإيمـان، ولكنها من الإيمان الواجب، أو المستحب، ولا يكون المؤمن كافراً إذا ترك أعمال الجوارح كلها: فلم يُصلِّ، ولم يَصُمْ، ولم يُزَكِّ، ولم يحج، ولم يعمل عملاً قط من الأعمـال الظـاهرة، بل ولو لم يغتسل من جنابة قط، ولم يوجه وجهته نحو القبلة قط !! وهـذه مقالة غُلاةِ المرجئة قديماً، وأضاف بعضهم إلى هـذا المـذهب القـديم القـول: إن الكفر لا يكـون إلا بـالقلب، فـإذا كـان من الأعمـال الظاهرة، فلا يُكَفَّرُ بها صـاحبها إلا أن يعتقـدها بقلبـه. فلو سَـبَّ الله، أو سـبَّ رسـولَه، أو دين الإسـلام، أو سـجد لغـير اللـه، أو أهـان كتـاب اللـه، أو فعل المُكَفِّراتِ فإنه لا يكفر بشـيء من ذلك إذا عمله ظاهراً فقط، ولم يعتقده في قلبه !!

وهـــذه ضـــميمة أُخـــرى من أقـــوال غُلاة المرجئة أضـــافوها لبدعتهم وانتَحلوها. وأضاف بعضُهم شنيعة أُخرى فقال: إن مَن كان عنده أصل الإيمان، وهو النُّطقُ بالشهادة والاعتقـاد بقلبـه،

فلا تَضُـــرُّهُ المعصـــية يـــوم القيامة بل يـــدخل الجنة مع أول الـــداخلين. كما في حـــديث البطاقة -حسب زعمهم- فرجعـــوا بذلك إلى قول الجهمية في مسمى الإيمان.

وهـذا المـذهب المُلَفَّقُ من مقـالات غُلاةِ المرجئة والجهميـة، ومرجئة الفقهاء. نموذج خطير جداً للإرجاء المعاصر. فمن قال بكل عناصره فقد جمع أسوأ أنواع الإرجاء، وقـال بقـول غلاتهم قـــديماً، بل خـــرج إلى الجهمية الخالصـــة. وأما مَنْ قـــال بـــأن المعاصي تضر، وأن صاحبها معرض للعذاب فإن إرجاءه يكـــون كإرجـــاء الفقهـــاء مما نقل عن الحسن بن محمد ابن علي بن أبي طـــــالب، ومقاتل بن ســـــليمان. وأبي حنيفة وحمـــــاد بن سلمة...وغيرهم...

موضوع هذه الرسالة:

وموضـــوع هـــذه الرســـالة ليس تفصـــيل كل هـــذه المذاهب ولكن لبيان قضيتين أساسيتين فقط:

الأولى: **أن من تـــرك العمل بـــالجوارح اختيـــاراً فقد نقض أصل الإيمان**.

الثانية: **أن الكفر كما يكون بالقلب فإنه كذلك يكون بالعمل واللسان**.

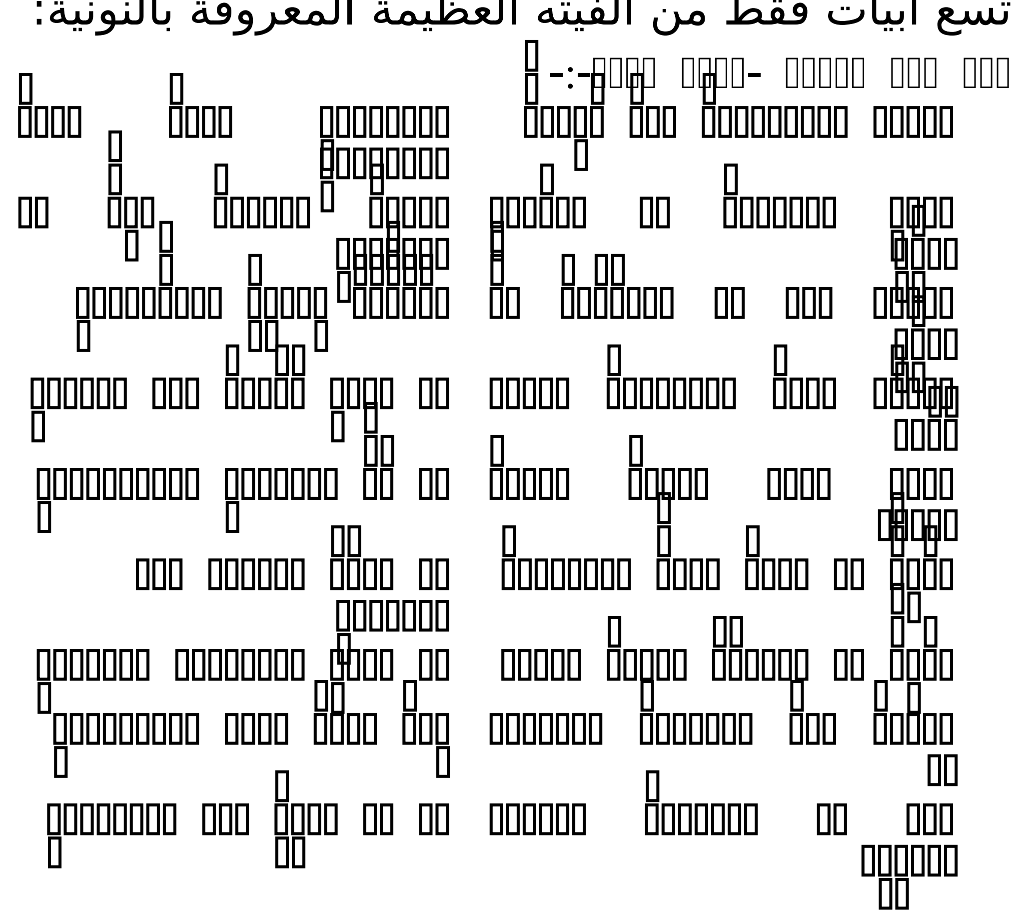
أولاً: تكفير الأئمة قائل هذه المقالة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتاب الإيمان: " وقال حنبل: حدثنا الحميدي قال: وأُخبرتُ أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يمـوت، ويصـلي مسـتدبرَ القبلة حـتى يمـوت، فهو مـؤمن مالم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة. فقلت: هـذا الكفر الصـراح، وخلاف كتاب الله وسنة رسـوله وعلمـاء المسـلمين، قـال الله تعـالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصـين له الـدين﴾. **وقال حنبل**: **سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول**: **من قال هذا**

فقد كفر بالله، ورد على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به عن الله "[5].

ثانيــاً: ابن القيم -رحمه اللــه- يــرد هــذه البدعة في أبيــات معدودات:

رد الإمام ابن القيم -رحمه الله- هذه البدعة المنكــرة بأبيـات من نونيته، فإنه أوجز هذه البدعـة، وبين حقيقتها وشـناعتها في تسع أبيات فقط من ألفيته العظيمة المعروفة بالنونية:



[illegible]

[illegible]

---

[5] (1) كتاب الإيمان لابن تيمية ص197.

الرد التفصيلي لهذه البدعة الشنيعة:

أولاً: لا دخول للجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح:

[6] (1) سورة البقرة: 25.

[7] (1) سورة البقرة: 62.

[8] (2) سورة الكهف: 110.

[9] (3) سورة الكهف: 107.

[10] (4) سورة العصر: 1-3.

ثانياً: التلازم بين إيمان القلب و عمل الجوارح:

[11] (5) رواه البخاري.

[12] (1) رواه البخاري.

[13] (2) سورة الأنفال: 2-4.

[14](3) سورة الحجرات: 15.
[15](1) سورة السجدة: 15.
[16](2) سورة النور: 62.
[17](3) سورة التوبة: 43-45.
[18](4) سورة المجادلة: 22.
[19](5) سورة المائدة: 84.
[20](6) كتاب الإيمان لابن تيمية 152-153.

ثالثاً: تارك العمل مطلقاً - يسلب الإيمان -:

رابعاً: الذي أراده الله من العباد هو الإيمان والعمل الصالح:

(1)[21] العقيدة الأصفهانية لابن تيمية 2/178-180.

[22]

خامساً: إجماع سلف الأمة أن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان:

[22](1) اعتقاد أهل السنة للالكائي 4/849-850.

سادساً: أئمة التابعين قائلون بأن الإيمان قول وعمل:

سابعاً: عشرة من أئمة الفقه في الأمة يقولون: الإيمان قول وعمل:

ثامناً: إجماع الصحابة على أنَّ تاركَ الصلاةِ كافرٌ الكفرَ الأكبرَ الناقِل عن الملةِ:

[23] (1) اعتقاد أهل السنة للالكائي 4/847-848.

[24] (1) رواه مسلم.

[25] (2) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم.

[26] (3) رواه البخاري.

فتـوى شـيخ الإسـلام ابن تيمية - رحمه الله - في كُفـرِ تـاركِ الصلاة[27]:

[27] (1) مجموع الفتاوى 22/40-49.

تفصيل المذاهب في كفر تارك الصلاة من كلام الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله-

[28](1) رواه مسلم.

[29](2) سورة التوبة: 11.

[30](3) رواه مسلم.

[31](1) رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

[32] (2) رواه مسلم.

[33] (1) رواه البخاري.

[34] (2) رواه البخاري.

تاسعاً: المفاسد المترتبة على القول بأن الإيمان هو الشهادة والإقرار فقط، وأن ترك العمل لا ينقض أصل الإيمان:

(1)[35] الشرح الممتع على زاد المستقنع 33-2/24.

[36] (1) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة.

5)

[37] (1) رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وهو حديث صحيح.

[38] (1) رواه مسلم.

[39] (2) رواه مسلم.

[40] (3) رواه البخاري.

[41](1) رواه البخاري.

[42](2) رواه أبوداود.

الباب الثاني: حقيقة الكفر:

1- فرعـــون وقومه أظهـــروا الكفر مع تصـــديقهم للرسل بقلوبهم :

2) إبليس كفر بالله علواً وكبراً:

3- مشركو العرب مقرون في قلوبهم:

المستهزئ بالدين يكفر ظاهراً وباطناً:

سب الله أو رسوله كفر ظاهراً وباطناً:

[illegible]

[66 [illegible]].

[illegible]

الرد على من قال: لا يُكَفَّرُ إلا السابُّ المستحل:

الدليل على كفر السابِّ مطلقاً:

شبهتان للمرجئة وللجهمية :

الجواب على الشبهة الأولى :

الجواب على الشبهة الثانية:-

نصوص العلماء الدالَّة على أن السبَّ كفر وحكمه القتل:

وذكر القاضي عيـــاض أجوِبَـــةَ جَماعـــةٍ من فقهـــاء المالكية المشـاهير بالقتل بلا اسـتتابة في قضـايا متعـددة أفـتى في كل قضية بعضهم:

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [43]

[illegible]

---

(1)[43] [illegible].

الفرق بين السبِّ والكفر :

" [44].

الاستهانة بالدين، والاستهزاء به، وسب الرسـول، ونسـبة الولد لله، وترك الصلاة كسلاً مكفرات عملية ناقلة عن الملة:

(9104):

[45].

---

(1)[44] الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية 513-532.

(1)[45] فتوى اللجنة الدائمة رقم 9104

الباب الثالث

كل من عصى الله فهو معرض للعقوبة إلا أن يعفو الرحمن

اعلم -رحمني الله وإياك- أن كل معصية للرب الإله العظيم الذي لا إله إلا هو فإنها تلزم صاحبها الإثم، وترهنه العقوبة، ولو كان فاعل الإثم والمعصية ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً، أو ولياً صالحاً، وسواء كان هذا الإثم صغيراً أو كبيراً، قال تعالى في شأن ملائكته الذين زعم الكفار أنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۝ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[46].

وقال تعالى في شأن رسله وأنبيائه الصالحين من ذرية إبراهيم ﷺ:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[47].

والشاهد في الآية قوله تعالى:{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بعد ذكره سبحانه وتعالى أنهم الذين اجتباهم الله واصطفاهم وهداهم.

وقال تعالى لرسوله محمد ﷺ:﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[48].

---

[46](1) سورة الأنبياء 26-29.

[47](2) سورة الأنعام 83-88.

[48](3) سورة الزمر 65.

وكما حصل التهديد بالعقوبة على الشـــرك. فـــإن التهديد بالعقوبة على ما دون الشرك واقعة أيضاً، كما قال الله لآدم : ﴿فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَـدُوٌّ لَـكَ وَلِزَوْجِـكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [49]. وهذا وعيد بالخروج من الجنة على المعصـية الـتي هي دون الشرك. وقد كان؛ فإن الله الـرب الإله العظيم أخـرج آدم من الجنة بمعصـيته الـتي لم تكن شـركاً، وتـاب عليه من العقوبة الأكـــبر لما تـــاب ورجع إلى الله﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [50].

وقد قـال الله لرسـوله محمد ﷺ:﴿وَلَـوْلا أَنْ ثَبَّتْنَـاكَ لَقَـدْ كِـدْتَ تَـرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَـيْئًا قَلِيلاً ۞ إِذًا لأَذَقْنَـاكَ ضِـعْفَ الْحَيَـاةِ وَضِـعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [51].

وقد قـال رسـول الله ﷺ لأصـحابه يـوم بـدر لما قبلـوا فـداء الأسرى: " لقد أريت عذابكم دون هذه الشجرة ".

والأحاديث والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً. وحسبك الآيات التي تبين القاعدة العامة لذلك وهو قوله تعالى:{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْـزَ بِـهِ وَلا يَجِـدْ لَـهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِـيرًا﴾ [52]. وقوله تعـالى:﴿فَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [53].

وقوله تعالى:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَـذِّبُكُمْ بِـذُنُوبِكُمْ بَـلْ أَنْتُمْ بَشَـرٌ مِمَّنْ خَلَـقَ يَغْفِـرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [54].

وقوله تعـالى:﴿وَقَـالُوا لَنْ تَمَسَّـنَا النَّارُ إِلاّ أَيَّامًا مَعْـدُودَةً قُـلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْـدًا فَلَنْ يُخْلِـفَ اللَّهُ عَهْـدَهُ أَمْ تَقُولُـونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ بَلَى مَنْ كَسَـبَ سَـيِّئَةً وَأَحَـاطَتْ بِـهِ خَطِيئَتُـهُ

---

[49](1) سورة طه 117.

[50](2) سورة البقرة 37.

[51](3) سورة الإسراء 74-75.

[52](4) سورة النساء 123.

[53](5) سورة الزلزلة 7-8.

[54](6) سورة المائدة 18.

فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِـدُونَ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [55].

واعلم أنه ما من معصية صغيرة ولا كبـيرة إلا وجـاء التحـذير من العقوبة عليها كقوله ﷺ: « إياكم ومحقّـرات الـذنوب، كقـوم نزلوا في بطن وادٍ فجـاء ذا بعـود وجـاء ذا بعـود حـتى انضـجوا خبزتهم، وإن محقرات الـذنوب مـتى يؤخذ بها صـاحبها تهلكه » [56].

وقوله تعالى في أي مخالفة ولو صغرت لأمر النبي:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَـةٍ إِذَا قَضَـى اللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَمْـرًا أَنْ يَكُـونَ لَهُمُ الْخِيَـرَةُ مِنْ أَمْـرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ ضَـلَّ ضَـلالاً مُبِينًا﴾ [57].

وقوله تعالى:﴿لا تَجْعَلُوا دُعَـاءَ الرَّسُـولِ بَيْنَكُمْ كَـدُعَاءِ بَعْضِـكُمْ بَعْضًـا قَـدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَـلَّلُونَ مِنْكُمْ لِـوَاذًا فَلْيَحْـذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [58].

وقوله تعــالى لنســاء النــبي:﴿يَانِسَــاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَـأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِـكَ عَلَى اللَّهِ يَسِــيرًا﴾ [59]. وكل هــذا ينبيك أن الوعيد بالعقوبة قـائم على كل ذنب، سواء كان المـذنب ملكـاً مقربـاً، أو نبيـاً مرسـلاً، أو وليـاً مؤمناً.

العقوبة على الذنب موكولة لله:

اعلم أن العقوبة على الـذنب من شـأن الله سـبحانه وتعـالى واختيـاره وتقـديره أعـني المقـدار لا القـدر فهو سـبحانه الـذي يختار للمذنب العقوبة التي يريد، فيعجلها له إن شــاء، ويؤخرها إلى أجل إذا شاء.

وقد تكون العقوبة لعنـاً أبـدياً وسـخطاً سـرمدياً، وعـذاباً في النـار لا انقطـاع له كما حصل لإبليس والكفـار وقد تكـون دون ذلك...حـتى يكـون أدناها نسـيان الإله ولو للحظـة، والغفلة عن

---

[55](1) سورة البقرة 80-82.

[56](2) رواه الإمام أحمد. انظر صحيح الجامع للألباني رقم 2686.

[57](3) سورة الأحزاب 36.

[58](4) سورة النور 63.

[59](5) سورة الأحزاب 30.

ذكـره ولو لِلِمْحَـةٍ، فـإن الانصـراف عن ذكـره حرمـان، والغفلة عنه سـبحانه وتعـالى ولو لمحــةٌ عقوبــة، ولا تكــون عقوبة إلا بذنب.

ولما كــانت الــذنوب متفاوتة كـانت العقوبة كــذلك فــالكفر والشـــرك أعظم الـــذنوب ولـــذلك كـــانت العقوبة عليه أشد العقوبـات:﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِـهِ وَيَغْفِـرُ مَا دُونَ ذَلِـكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.[60] ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْـتَغِيثُوا يُغَـاثُوا بِمَـاءٍ كَالْمُهْـلِ يَشْـوِي الْوُجُـوهَ بِئْسَ الشَّـرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.[61] ﴿هَـذَانِ خَصْـمَانِ اخْتَصَـمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَـرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَـابٌ مِنْ نَـارٍ يُصَـبُّ مِنْ فَـوْقِ رُءُوسِـهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُـودُ ۞ وَلَهُمْ مَقَـامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُــوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَـاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُـهُمْ فِيهَا حَرِيـرٌ﴾[62]. وقـال تعـالى:﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَـذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۞ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [63]. وقال تعالى لأول الكافرين إبليس لما عصـاه:﴿قَـالَ فَـاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْـكَ اللَّعْنَــةَ إِلَى يَــوْمِ الــدِّينِ﴾ [64]. وأما ما دون الكفر والشــرك من الذنوب فإن الله يعاقب عليه إن شاء، ويسامح فيه إذا شــاء، لا مكره له سبحانه وتعالى، قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [65].

عنّ عُبادةَ بنَ الصامِتِ رضيَ اللّهُ عنهُ ـ وكانَ شَهِدَ بَدْراً، وهُوَ أَحَدُ النّقَباءِ لَيلةَ العقَبَةِ ـ أَنّ رسـولَ اللّـهِ ﷺ قـال وَحَوْلَـهُ عِصـابَةٌ مِنْ أَصـحابهِ: « بـايعوني على أنْ لا تُشـرِكوا باللّــهِ شـيئاً، ولا تَسْرِقوا، ولا تَزْنوا، ولا تَقْتُلوا أَوْلادَكم، ولا تَـأتوا بِبُهْتـانٍ تَفْتَرونَـهُ بَيْنَ أَيْدِيكمْ وأرْجُلِكمْ، ولا تَعْصـوا في مَعْـروف. فمَنْ وَفَّى منكم فأجْرُهُ على اللّهِ، ومن أصابَ مِنْ ذلك شيئاً فعُـوقِبَ في الـدّنْيا فهُوَ كَفّارَةٌ له، ومَن أصـابَ مِنْ ذلك شـيئاً ثُمّ سَـتَرَهُ اللّـهُ فهُـوَ

---

[60](1) سورة النساء 116.

[61](2) سورة الكهف 29.

[62](3) سورة الحج 19-23.

[63](4) سورة الفجر 25-26.

[64](5) سورة الحجر 34-35.

[65](6) سورة النساء 116.

إلى اللّهِ: إنْ شـاء عَفا عنـهُ، وإن شـاء عاقَبَـهُ ». فبايَعنـاه على ذلك [66].

والشاهد فيه « **ومن أصابَ مِنْ ذلك شيئاً فعُوقِبَ في الدّنْيا فهُوَ كَفّـارَةٌ لـه، ومَن أصـابَ مِنْ ذلك شـيئاً ثُمّ سَتَرَهُ اللّهُ فهُوَ إلى اللّهِ: إنْ شاء عَفا عنـهُ، وإن شـاء عاقَبَهُ ».**

التوبة تغفر الذنوب جميعاً:

ولما كـان الـرب الإله العظيم هو الله الـرحمن الـرحيم، فإنه سبحانه كتب على نفسه أن يقبل كل تائب وراجع إليه، ومعتـذر عن ذنبه وجرمه مهما كان هذا الـذنب ولو كـان كفـراً، وشـركاً، وعناداً، وكبراً، وسـباً له -سـبحانه- وشـتماً، ولو كـان سـعياً في إبطال دينه، وإطفاء نوره، وحربه وحرب أوليائه قال تعالى:﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِـهِمْ لا تَقْنَطُـوا مِنْ رَحْمَـةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُـوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْـلِ أَنْ يَـأْتِيَكُمُ الْعَـذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَـرُونَ ۝ وَاتَّبِعُـوا أَحْسَـنَ مَا أُنْـزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْـلِ أَنْ يَـأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْـعُرُونَ ۝ أَنْ تَقُـولَ نَفْسٌ يَاحَسْـرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُـولَ حِينَ تَـرَى الْعَـذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِـنِينَ ۝ بَلَى قَـدْ جَاءَتْـكَ ءَايَـاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَـرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْـوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْـوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [67].

وقد قال رسول الله ﷺ: " الإسلام يجب ما قبلـه، والتوبة تجب ما قبلها، والهجرة تجب ما قبلها ".

والجب هو القطع والاستئصــال، والمعــنى هنا مغفــرة كل ما سلف من الذنب. وقال تعالى:﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَـرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [68].

لا يقبل بعد الموت اعتذار من الذنب صغيراً كان أو كبيراً:

---

[66](7) رواه البخاري.

[67](1) سورة الزمر 53-60.

[68](2) سورة الأنفال 38.

اعلم -رحمني الله وإياك- أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من عبدٍ اعتـذاراً عن ذنبه قط بعد المـوت. أعـني الـذنب الـذي لم يتبْ منه قبل المـوت، فكل ذنب مـات عليه صـاحبه غـير تـائب منه فإنه يصـبح مرتهنـاً به واقعـاً تحت العقوبـة. منتظـراً فيه لحكم الرب الإله العظيم سبحانه وتعـالى...فأما من مـات على الكفر والشـرك فـإن الله قد أعلم الجميع فيه بحكمـه، وأنه لا يغفر الشرك أبداً، ولا يـدخل الجنة كـافراً، ولا يقبل من صـاحبه شفاعةً، ولا عدلاً، ولا اعتذاراً.

فلو تقـــــدم إليه كل شـــــافع فلا يقبل الله ذلك﴿فما تنفعهم شـفاعة الشـافعين﴾، ولا يقبل الله منه فـداءاً ولو ملء الأرض ذهباً، لو افترض أنه يملك ذلـك:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَـوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَـةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ ۞ يُرِيـدُونَ أَنْ يَخْرُجُـوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيـمٌ﴾ [69].

وأما من مـات مؤمنـاً موحـداً غـير مشـرك بالله شـيئاً وله معصـــية لم يتب منها قبل موته أو تـــاب منها توبة ناقصة فإنه يظل مرتهنـاً يـوم القيامة بمعصـيته، وأمـره إلى الله إن شـاء عذبه في الموقف أو في النار، وإن شاء غفر له...

ولا أمن لعبد عصى الله إلا أن يؤمنه اللـــه، ويعلمه مغفرتـــه، وأما قبل ذلك فلا أمان أن يؤاخذ الله العبد بذنبه صغيراً كان أو كبيراً. ألا ترى أن الشـهيد يـرتهن في دين آدمي، والغـال الـذي غل شـيئاً يسـيراً (شـراك نعل قد قيل لـه: شـراك من نـار)، والمـــرأة المســـلمة المؤمنة قد تعـــذب في النـــار لأنها قـــالت لزوجها الذي أحسن إليها " ما رأيت منك خيراً قط"...الخ.

وجميع الرسل غير نبينا محمد ﷺ لا يجـرؤ أحد منهم أن يتقـدم يوم القيامة في شـفاعة لأنه يخـاف ذنبـاً لـه، وكلهم يقـول: إن ربي (قد غضب الله اليـــوم غضـــباً لم يغضب قبله مثلـــه، ولا يغضب بعده مثله). ولا يجرؤ على الشـفاعة يومئذ إلا من قـال له الله تعالى:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۞ لِيَغْفِرَ لَـكَ اللَّهُ مَا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِـــكَ وَمَا تَـــأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَـــهُ عَلَيْـــكَ وَيَهْـــدِيَكَ صِـــرَاطًا

[69](1) سورة المائدة 36-37.

مُسْتَقِيمًا[70]. ولا أمن من المؤاخذة على الذنب لأحد يوم القيامة إلا بعد دخول الجنة، وقوله سبحانه لأهلها: " اليوم أحل لكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ".

وأما قبل هذا اليوم -يوم دخول الجنة- فلا أمان لمن جاء يحمل ظلماً...

الحالات التي يغفر الله فيها ذنب عبده بغير توبة من العبد:

أما الحالات التي يغفر الله فيها ذنب عبد من عباده من غير توبة من العبد فهي كما يأتي:

1) أن يكون ممن يجتنب كبائر الإثم فيغفر الله ما دون ذلك. قال تعالى:﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا﴾ [71].

2) أن يكون ممن يوالي بين الطاعات فيحافظ على صلاته صلاة بعد صلاة، ويصوم رمضان شهراً بعد شهر بغير تفريط، ويوالي بين الحج والعمرة، مرة بعد مرة. قال ﷺ: « الصّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. مُكَفّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنّ. إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ » [72].

3) الطهارة بالماء طهاة من الذنب: قال تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [73]. التوبة طهارة من الذنب، والماء طهارة للظاهر يجعلها الله كذلك طهارة للإثم، قال ﷺ: « إِذَا تَوَضّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ (أَوِ الْمُؤْمِنُ) فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) حَتّى يَخْرُجَ نَقِيّاً مِنَ الذّنُوبِ » [74].

---

[70](2) سورة الفتح 1-2.

[71](1) سورة النساء 31.

[72](2) رواه مسلم.

[73](3) سورة البقرة 222.

[74](4) رواه مسلم.

4) الحسنات تمحو السيئات: قال تعالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْل إنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [75].

فإذا فعل المسلم الطاعة بعد المعصية محت السيئة: قال رسول الله ﷺ: « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن » [76]. و قال رسولُ الله ﷺ: « من حَلف فقال في حَلفه: واللاتِ والعُزّى، فليَقل: لا إله إلاّ الله. ومن قال لصاحِبِهِ: تعال أُقامِرْكَ، فلْيتصدّق»[77].

فأرشد ﷺ إلى الحسنة التي يكفر السيئة التي فيها، وأرشد النبي ﷺ إلى التصدق مذكراً أنها كفارة بل من أعظم الكفارات فقال في معرض وعظه للنساء المعرضات إلى أنواع من الذنوب تدخل النار. قال ﷺ: « يا مَعشرَ النساءِ تَصَدّقْنَ، فإني أُريتكُنّ أكثرَ أهلِ النارِ. فقُلنَ: وبمَ يا رسولَ اللّهِ ؟ قال: تُكثِرْنَ اللّعْنَ، وَتَكفُرْنَ العَشيرَ، ما رأيتُ من ناقِصاتِ عَقلٍ ودِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرّجُلِ الحازِم مِن إِحداكنّ. قلنَ وما نُقصانُ دِينِنا وعَقلِنا يا رسولَ اللّهِ ؟ قال: أليسَ شَهادةُ المرأةِ مِثلُ نِصفِ شَهادةِ الرجُل ؟ قلن: بَلى. قال: فذلِكَ من نُقصان عَقلِها. أليسَ إذا حاضَتْ لم تُصَلّ ولم تَصُمْ ؟ قلن: بَلى. قال: فذلِك من نُقصانِ دِينِها» [78]. وقال ﷺ: « والصّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الْمَاءُ النارَ » [79].

5) إحسان بإحسان:

من أعظم أسباب مغفرة الذنب وعدم مؤاخذة الرب عبدَه عليه، أن يكون العبد محسناً رحيماً مسامحاً كريماً فيكافؤه الله إحساناً بإحسان فإذا كان العبد من أهل الرحمة والشفقة كافأه الله سبحانه وتعالى بأن يرحمه، ويقيل عثرته ويغفر ذنبه ولا يؤاخذه به. قال ﷺ: «الرّاحِمُونَ يَرْحُمُهُمُ الرّحْمَنُ ارْحَمُوا من في الأرْضِ يَرْحَمُكُم مَنْ في السّماءِ » [80]. وإذا كان العبد

---

[75](5) سورة هود 114.

[76](6) رواه أحمد وأبو داود والترمذي بسند حسن.

[77](7) رواه البخاري.

[78](1) رواه البخاري.

[79](2) رواه النسائي.

[80](3) رواه أحمد وأبوداود والترمذي والحاكم.

يتجـاوز عن من أسـاء إليـه، ويغفر لمن ظلمه ولا يطالبه بحقه في الـدنيا، ولا ينـوي مطالبته في الآخـرة. بل يسـامح أخـاه المسلم، كافأ الله هـذا العبد بـأن يغفر له ذنوبه في حق الـرب جل وعلا؛ فإن جزاء الإحسـان عند الله الإحسـان: قـال تعـالى: ﴿هَلْ جَـزَاءُ الإِحْسَـانِ إِلاّ الإِحْسَـانُ﴾ [81]. وقـال تعـالى:﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَـأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [82]. وأعظم هـذا الأجر أن يتجـاوز الله لعبـده عن ذنبه كما جـاء في الحـديث الصحيح. قال ﷺ: « كان تـاجِرٌ يُـدايِنُ النـاسَ، فـإذا رأى مُعسِـراً قال لِفتيانهِ: تجاوَزُوا عنهُ لعلَّ الله أن يَتجـاوَزَ عنّـا، فتَجـاوَزَ الله عنه » [83]. فهذا العبد الذي كان يتجـاوز عن المعسر تجـاوز الله عن سيائته فغفر الله ذنوبه التي كانت أعظم من حسناته.

6) إخلاص التوحيد لله:

والعبد الذي يخلص توحيده لله فلا يعبد معه غيره، ولا يشرك به سواه،ولم ينو بعمله غير وجه الله يكافئه الله بمغفـرة ذنوبه كما في الحـديث قـال ﷺ: « قـالَ الله تَبَـارَكَ وتعَـالى: يا ابنَ آدَمَ إِنّـكَ مَا دَعَـوْتَنِي وَرَجَـوْتَنِي غَفَـرْتُ لَـكَ عَلَى ما كـانَ فِيـكَ وَلاَ أُبَالِي. يا ابنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَـانَ السّـمَاءِ ثُمّ اسْـتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَـكَ وَلاَ أُبَـالِي. يا ابنَ آدَمَ إِنّـكَ لَـوْ أَتَيْتَنِي بِقُـرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » [84].

....

الكافر يأتي يوم القيامة ولا حسنة له:

الكافر والمشرك يـأتي يـوم القيامة ولا حسـنة لـه. وذلك أن الكفر والشرك سيئة لا تنفع معها حسـنة. قـال تعـالى:﴿وَقَـدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[85].

---

[81](4) سورة الرحمن 60.

[82](5) سورة الشورى 40.

[83](6) رواه البخاري.

[84](1) رواه الترمذي بسند حسن.

[85](2) سورة الفرقان 23.

وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَـالُهُمْ كَسَـرَابٍ بِقِيعَـةٍ يَحْسَـبُهُ الظَّمْـآنُ مَـاءً حَتَّى إِذَا جَـاءَهُ لَمْ يَجِـدْهُ شَـيْئًا وَوَجَـدَ اللَّهَ عِنْـدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [86].

وقال أيضاً:﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَـالُهُمْ كَرَمَـادٍ اشْـتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ [87].

وإذا كـان للكـافر والمشـرك من عمل نـافع في الـدنيا كـبر الوالــدين وصــدق الحــديث، وإكــرام ضــيف، ومســاعدة محتـاج...الخ؛ فـإن الله يكافئه به حسـنة في الـدنيا: في المـال والصحة والولد...الخ، حتى يأتي يوم القيامة ولا حسنة له.

تارك العمل اختياراً بغير ضرورة لا يـدخل في بـاب واحد من أبواب الرحمة:

وإذا نظرنا في تارك العمل كله اختياراً لا اضطراراً وجدنا أنه لا يجوز أن يطلق عليه حكم الإسـلام فإنه لم يصـلِ، ولم يصـمْ، ولم يزكِ، ولم يحجْ، وهذه أركان الإسلام التي لا يقـوم الإسـلام إلا عليها، ولا يسمى مؤمناً لأن الإيمان لو قام بقلبه لظهر أثـره على الجوارح. فكيف يكون مؤمناً بالله ووعـده ووعيـده، ويـوم القيامة من لم يصلِ لله ركعة مع قدرته على ذلك.

وتـارك العمل ليس كـذلك محسـناً، بل هو أبعد النـاس عن الإحسان... والذي يغفر الله ذنوبهم ويتجاوز عن خطيئـاتهم هم المحسـنون والمؤمنـون والمسـلمون، ولـذا فتـارك العمل كله بغير ضرورة لم يكن مسلماً ولا مؤمناً ولا محسناً.

وإن ادعى أنه من أهل لا إله إلا الله فقد فعل ما يناقضها من تـرك العمـل. فمن شـهد له أنه من أهل الجنة وأنه ممن تغفر ذنوبه تجـرأ على القـول بما يخـالف القـرآن والسـنة وإجمـاع الصحابة وسلف الأمـة. فإنه لم يـأت نص قط يقـول بـأن تـارك العمل اختياراً تناله الرحمة.

---

[86](3) سورة النور 39.

[87](4) سورة إبراهيم 18.